مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http: //www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 04 (2020) - ص 154- 164

المصطلح الفلسفي في الفكر البلاغي والنقدي المغاربي: التخييل نموذجا

The philosophical term in the Maghreb rhetoric and critical intellectuality (Imagining as a sample)

لوالي خالد بوعبد الله
loualikhaled14@gmail.com
مخبر اللغة العربية وآدابها
جامعة عمار ثليجي – الأغواط/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/17 تاريخ القبول: 2020/10/10 تاريخ النشر: 2020/12/10

ملخص البحث

يَرَى بَعْضُ البَاحِثِينَ أنَّ الدَرْسَ النَّقْدِيَ وَالبَلَاغِيَ المَغَارِبِيَ القَدِيمَ، قَدِ ارْتَكَزَ عَلَى مُصْطَلَحَاتِ الفَلْسَفَةِ اليُونَانِيَةِ، خُصُوصًا عِنْدَ النُّقَادِ الذِينَ تَشَبَعُوا بِالمَعَارِفِ اليُونَانِيَةِ فِي حُقُولِهَا الفَلْسَفِيَةِ والنَّقْدِيَةِ، مِنْ أَمْثَالِ: أبِي المطَرِفِ القَرْطَجَنِي والسِّجِلْمَاسِي... إلخ. وَهُوَ مَا أَثَّرَ عَلَى مُؤَلَفَاتِهِمْ ومُعَالَجَتِهَا لِلْقَضَايَا النَّقْدِيَةِ مِنْ نَاحِيَةِ المَفَاهِيمِ والمقُولَاتِ، كَقَضِيَةِ (التَخيِيلِ والمُحَاكَاةِ)، ولرُبَمَا ارْتَقَى بِهِمْ ذَلَكَ إِلَى مُخَالَفَةِ آرَاءِ المشَارِقَةِ فِي دِرَاسَتِهَا، حَتَى اسْتِحْدَثوا طَرَائِقَ و آراءَ خَاصَةٍ بِهِمْ.
فإِذَا تَأَكَّدَ ثُبُوتُ هَذَا التَأَثُرِ: فَمَ الدَاعِي لَهُ؟ وأَيْنَ تَجَلَتْ قَضَايَاهُ فِي مُؤَلَفَاتِهِمْ؟ وكَيْفَ عَبَرُوا عَنْ تِلْكَ القَضَايَا فِي مُعَالَجَتِهِمْ لِلنُّصُوصِ النَّقْدِيَةِ؟

الكلمات المفتاحية: الدَّرْسُ النَّقْدِيُ المغَارِبِيُ، الفَلْسَفَةُ اليُونَانِيَةُ، التَخْيِيلُ، لِلْقَضَايَا النَّقْدِيَةِ، آراء المشَارِقَةُ .

ABSTRACT:

Some researchers consider that the Maghrib ancient critical and rhetoric lesson has based on the Greek philosophy foundations and concepts, especially the critics who were known by the Greek knowledge in its philosophical and critical fields. Among those critics, there were: Abi Elmatraf 658 Hijri, Elkartajani 684 Hijri, Elsijilmasi 704 Hijri, and Ibn Binaa Elmarakshi 721 Hijri, etc. Thus, they were affected and they reflected that on their writings in dealing with the critical issues at the level of the concepts and sayings such as: (imagining and simulation). This may differs from the Eastern critics' opinions in studying the literary text and developing their own methods. If this affection really exists, what's the reason behind that? Where are its issues shown in their writings? How did they express that issues in dealing with the critical texts?

Key words: the Maghrib critical lesson, the Greek philosophy, imagining, the eastern critics, the literary text.

1. مقدمة:

لَقَدْ ظَهَرَ النَّقْدُ عِنْدَ المَغَارِبَةِ بِمُوَاصَفَاتِ النَّقْدِ المشْرِقِي، -باعْتِبَارِهِ الأَسْبَقَ-، بَعْدَ أنْ أَخَذَ حَظًّا مِنْ النُّضْجِ وتَجَاوَزَ العَفْوِيَةَ واسْتَوَتْ سُوقُهُ عَلَى أُصُولِ المَنْهَجِ الرَّصِينِ ، لاَ سِيَمَا حِينَ ازْدَهَرَتْ بِيئَتُهُ بالعُلُومِ، وَ ارْتَبَطَ الكَثِيرُ مِنْهَا بالظَوَاهِرِ الأَدَبِيَةِ والشَّرْعِيَةِ التِي اسْتَفَادَتْ مِنْ أُصُولِ المَنْهَجِ العَقْلِي؛ بِفِعْلِ الاحتِكَاكِ بِثَقَافَةِ الآخَرِ مِنْ (الفُرسِ والرُّومِ الهِنْدِ واليُونَانِ).

وَمِنَ الطَبِيعِي والحَالُ هَذِهِ أنْ يَنْشَأَ فِي أَرْضِ المَغْرِبِ نَاشِئَةٌ تُمَارِسُ الفِعْلَ النَّقْدِيَ بِمَلَكَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ، تَكْشِفُ عَنْ سِمَاتِ التَأَثُّرِ، مَا دَامَ أَمْرُ الثَّقَافَةِ حَدَثًا مُشَاعًا تَقْبَلُ بِهِ الأُصُولُ والتَقَالِيدُ فِي كُلِّ بِيئَةٍ منْ القُطْرِ العَرَبِي. فسَابَقَتْ إِلَيهِ الأَنْدَلُسُ تَبغِي حَظًّا وَافِرًا مِنْهُ، فالبِيئَةُ البِكْرُ دَخَلَتْ مَجَالَ المُرَاهَنَةِ عَلَى مُقَدَّرَاتِهَا ونُخَبِهَا و نَوَابِغِهَا، فكَانَ لَهَا فِي كُلِّ فنٍّ و مَجَالٍ حُضُورٌ وتَفَوُّقٌ، كَمَا كانَ لأُخْتِهَا فِي المشْرِقِ، بِفِعْلِ التَلاقُحُ الفِكْرِي والثَّقَافِي بَيْنَ العَرَبِ واليُونَانِ، الذِي حَصَلَ فِي القَرنِ 4هـ مَعَ قُدَامَةَ بن جَعْفَرَ (ت337) و كتابه: (نَقدَ الشِّعْرِ).وَ وَصَلَ مُتَأَخِرًا إِلَى الغَرْبِ الإِسْلَامِي فِي القَرْنَيْنِ 7و 8 الهِجْرِيَيْنِ مَعَ أَبِي المطَرِّفِ (ت658هـ) و كتابه: (التَنْبِيهَاتُ) و حَازِمِ القَرْطَجَنِي (ت684هـ) و كِتَابِه: (مِنْهَاجُ البُلَغَاءِ) و السِجِلْمَاسِي (704هـ)و كتابه: (المَنْزَعُ البَدِيعُ).فَلَعَلَّ هَذَا التَلاقُحَ الثَّقَافِيَ جَعَلَهُمْ يُعَالِجُونَ فِي مُؤَلَفَاتِهِمْ قَضَايَا نَقْدِيَةً وبَلَاغِيَةً بِرُؤيَةٍ مَنْطِقِيَةٍ، كانَ مِنْ أَبْرَزِهَا قَضِيَةُ التَخْيِيلِ، فَمَا هُوَ التَخْيِيلُ؟ ومَا مَفْهُومُهُ فِي الثَّقَافَةِ اليُونَانِيَةِ؟ وكَيْفَ عَبَّرَ عَنْهُ كَلٌّ منْ (أبي المطَرِفِ وَ القَرْطَجَنِي و السِّجِلْمَاسِي فِي مُنْجَزَاتِهِمْ النَّقْدِيَةِ

إنَّ الجُهُودَ النَّقْدِيَةِ المغَارِبِيَةِ فِي الحَقِيقَةِ تُحَاوِلُ أنْ تُجَارِيَ نَظِيرَاتِهَا فِي المشْرِقِ، بَعْدَ أنْ تَحَتَّمَ عَامِلُ المنَافَسَةِ بَيْنَ البِيئَتَيْنِ فِي القَضَايَا والمنْجَزَاتِ الحَضَارِيَةِ، وعَلَيْهِ صَارَ المشْرِقُ حَيًّا فِي وَعْيِ المغَارِبَةِ بالتَقْمُصِ أَحْيَانًا، والتَمَيُزِ والتَّجَاوُزِ فِي أَحَايِينَ أُخْرَى. ذَلِكَ أَنَّ مِنْهُمْ شُعَرَاءَ وصُنَاعاً للكَلِمَةِ، يُحَقِقُونَ مِنْ خِلَالِهِمْ الاكْتِفَاءَ، والاسْتِقْلَالَ بالبَرَاعَةِ النَّقْدِيَة المغْرِبِيَةِ عَنْ المشْرِقِيَةِ، مَعَ الاعْتِقَادِ بِبُلُوغِ الرُّشْدِ فِي التَصَرُفِ بالحِكْمَةِ والمعْرِفَةِ والخِبْرَةِ الحَاصِلَةِ عَنْ المشَارِقَةِ ومُؤَلَفَاتِهِمْ كـ الأَصْمَعِي (ت 206هـ) و كِتَابِهِ: (الفُحُولَةُ) وابن سَلَامِ الجُمَحِي (ت232هـ)و كتابِهِ: (طَبَقَاتِ فُحُولِ الشُعَرَاءِ) وابن قُتَيْبَةَ(ت276هـ)وكتابِهِ(الشِّعْرُ والشُعَرَاءُ)و ابنُ طَبَاطِبَا (ت322هـ) وكتابِهِ: (عِيَارُ الشِّعْرِ) المرْزُوقِي (ت421) وعَمُودِ الشِّعْرو(شَرْحِهِ لحَمَاسَةِ أَبِي تَمَامٍ)و عَبْدُ القَاهِرِ الجُرْجَانِي (ت471هـ) ونَظَرِيَةِ النَّظْمِ فِي كتَابِهِ: (دَلَائِلُ الإِعْجَازِ) وقَدْ تَبَلْوَرَتْ هذه المَجْهُودَاتُ النَّقْدِيَةُ لتُزَيِّنَ صَرْحَ النَّقْدِ الأَدَبِي عِنْدَ العَرَبِ .

بَيْدَ أَنَّ المَلَاحَظَ منَ النَّقْدِ المغَارِبِي أَنَّهُ قَدْ أَفَادَ واسْتَفَادَ مِنْ تِلْكَ الجُهُودِ النَّقْدِيَةِ المشْرِقِيَةِ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى صِيَاغَتِهَا بمَا يتَنَاسَبُ وقُطْرَهُ الجُغْرَافِي وخُصُوصِيَتِهِ المعْرِفِيَةِ، بِحُكْمِ قُرْبِهِ مِنَ الرَافِدِ اليُونَانِي الذِي اتْصَلَ بِالثَّقَافَةِ العَرَبِيَةِ عَبْرَ تَرْجَمَةِ كِتَابِ أَفْلَاطُون (ت 384ق.م) (الجُمْهُورِيَةِ) و كَتَابِ أَرِسْطُو (322ق.م) (فَنَ الشِّعْرِ)، إلَّا أنَّ هَذَا الأَخِيرَ كَانَ لَهُ الدَوْرُ البَالِغُ فِي تَطْوِرِ النَّقْدِ العَرَبِي وخُرُوجِهِ مِنْ بَوْتَقَة الانْطِبَاعِيَةِ العَرَبِيَةِ .فذَهَبَ السَّيُوطِي(ت911هـ) إلى أنَّ أَوَلَ تَرْجَمَةٍ وُجِدَتْ لِلْكِتَابِ

كانَتْ عَلَى يَدِ مَتَى بنَ يُونِسْ الغَنَائِي (ت328هـ)[1] ثُمَّ لَحِقَتْهَا تَرْجَمَاتِ الفَارَابِي (ت339هـ) وابنِ سِينَا (427هـ) وابنِ رُشْدٍ (ت595هـ) ، ولمّا اطّلَعَ النُّقَادُ المغَارِبَةُ علَى هَذِهِ التَرْجَمَاتِ تَأَثَّرُوا بِهَا تَأَثُرًا بَالِغًا وَرَاحُوا يُطَبِقُونَ مَا اسْتَوْعَبَتْهُ أَفْهَامُهُمْ عَلَى القَضَايَا النَّقْدِيَةِ والأَدَبِيَةِ، التِي مِنْ جُمْلَتِهَا قَضِيَةُ التَخْيِيلِ.

2. التَخْيِيلُ(L'imagination):

1.2.لغة:

يَقُولُ ابن فَارِس فِي (مَقَايِيسِ اللُّغَةِ) عَنِ الخَيَالِ : « هُوَ الشَّخْصُ، و أَصْلُهُ مَا يَتَخَيَلُهُ الإِنْسَانُ فِي مَنَامِهِ لأَنَّهُ يَتَشَبَهُ ويَتَلَوَّنُ، ... وتَخَيَّلَتْ السَّمَاءُ إِذَا تَهَيَّأَتْ لِلْمَطَرِ، ولاَبُدَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ذَلِكَ تَغَيُّرُ لَوْنٍ، والمخَيِّلَةُ: السَّحَابَةُ، ...وَالخَيَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ تَرَاهُ كَالظِّلِ، وَكَذَلِكَ خَيَالُ الإِنْسَانِ فِي المرآةِ »[2]

وَجَاءَ عِنْدَ ابنِ مَنْظُورٍ فِي (لِسَانِ العَرَبِ) بَابُ (خَيَلَ): «خَالَ الشَّيْءَ يَخَالُ خَيْلاً و خَيْلَةً وَ خَالاً وخَيْلاً وخَيَلاَنًا و مَخَالَةً و مَخْيَلَةً و خَيْلُولَةً: ظَنَّهُ.... وخَيَّلَ فِيهِ الخَيْرَ وتَخَيَّلَهُ: ظَنَّهُ وتَفَرَّسَهُ، وخيَّلَ عَلَيْهِ: شبَهَ.... وتَخَيَّلَ الشَّيءَ لَهُ: تَشبَّهَ.و تُخُيِّلَ لَهُ أَنَّهُ كَذَا أيْ تُشُبِّهَ وتَخَايَلَ ، وتَخَيَّلْتُهُ فتَخَيَّلَ لِي، ...، والخَيَالُ والخَيَالَةُ: مَا تَشَبَّهَ لَكَ فِي اليَقَظَةِ والحُلْمِ مِنْ صُورَةِ وَطَيْفِ الشَّخْصِ»[3] فابنُ مَنْظُورُ يَرَى أَنَّ التَخْيِيلَ يَحْتَمِلُ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا الظَّنُ والتَفَرُسُ والتَحَقُقُ و التَصَوُّرُ .وله مَعَانِي أُخْرَى مِنْهَا: الوَهْمُ، كَقَولِهِ تَعَالَى: (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ) سورة طه: 66

كَمَا تَتَفِقُ القَوَامِيسُ الأَجْنَبِيَةُ مَعَ المفْهُومِ العَرَبِي لِلْخَيَالِ و التَخَيُل المعَبَّرُ عَنْهُ باللُّغَةِ الفَرَنْسِيَةِ (Imagination)فَفِي (المنهلِ الوَسِيطِ) جَاءَ اللَّفْظَ يُقَابِلُ عِدَةَ مَعَانٍ مِنْهَا: تَصَوَرٌ وَتَخَيُلٌ Imaginable وخَيَالِي أَوْ وَهْم Imaginaire ، واسعُ الخَيَالِ: Imaginative وتَخَيَّلَ أَوْ ابْتَكَرَ أو تَصَوَّرَ أو تَوَهَّمَ ظنّ . Imaginer [4] وَهَذَا التَوَجُّهُ هُوَ نَفْسُ تَوَجُهِ أَصْحَابَ القَوَامِيسِ العَرَبِيَةِ فِي شَرْحِ كَلِمَةِ (خَيَلَ).

ولاَ شَكَّ أَنَّ النُّقَادَ والبَلاَغِيينَ العَرَبَ يَدِينُونَ للثَّقَافَةِ اليُونَانِيَةِ القَدِيمَةِ، التِي كَشَفَتْ عَنْ مصْطَلَحِ (الخَيَالِ أَوْ التَخْيِيلِ)، فَهِيَ تُحَتِّمُ عَلَيْنَا -قَبْلَ الوُلُوجِ إِلَى البَحْثِ-، النَّظَرَ فِي مَفْهُومِ التَخْيِيلِ عِنْدَ المعَلِمِ (أفلاطُون) وتِلْمِيذِهِ (أَرِسْطُو)، ثُمَ العَطْفِ عَلَى مَفْهُومِهِ عِنْدَ نُقَادِ الغَرْبِ الإِسْلاَمِي .(أبِي المطَرِفِ و القَرْطَجَنِي و السِّجِلْمَاسِي) .ثُمَّ التَفْرِيقِ والمقَارَنَةِ بَيْنَ مَفْهُومِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ .

2.2مفهوم التخيّيل في الثّقافة اليونانية :

تُعَتَبَرُ الثَّقَافَةُ اليُونَانِيَةُ مَهْدَ أَغْلَبَ العُلُومِ الفَلْسَفِيَةِ و الأَدَبِيَةِ والبَلاَغِيَةِ؛ عَلَى غِرَارِ النَّقْدِ الشِّعْرِي أوِ الفَنِي بالعُمُومِ، الحَاصِلِ فِي مُسَاجَلاتِ أَرْبَابِ الفَلْسَفَةِ مَعَ السُوفسْطَائِيينَ و الشُعَرَاءِ وحَتَى الفَنَانِيينَ مِنْ أَصْحَابَ (الغِنَاءِ والرَّسْمِ والنَّحْتِ).

1.2.2. مَفهوم أفلاطون (للتخييل):

يَظْهَرُ مَفْهُومُ أَفْلَاطُونَ لِلْتَخْيِّيلِ مِنْ نَظْرَتِهْ السَّوْدَاوِيَةْ لِلْشِّعْرْ، مع العِلْمِ أَنَّ كُلَّ الفُنُونِ التِي نَرَاهَا فِي الوَاقِعِ عَبَرَ عَنهَا أَفْلاَطُون (بالمحَاكَاةْ)، وخَاصَةً الشَّعَرَ، كَمَا يَقُولُ : «إنّهُ يُفْسِدُ أفْهَامَ السَامِعِينَ»[5] ذَلْكَ أنَّهُ، يُشَوِّهُ ويُزَيِفُ المعَارِفَ الحَقِيقِيَةَ فِي أَذْهَانِ المتَلَقِينَ و يُحَوِلُهَا إلى مَعَارِفَ غَيْرَ حَقِيقِيَةٍ لَا يُمْكِنُ إدْرَاكُهَا بالعَقْلِ، فَأَفْلَاطُون يُقَلِلُ مِنْ شَأْنِ المحَاكَاةِ والفُنُونِ التِي تَتَخِذُهَا أَسَاسًا لقِيَامِهَا، وأَكْثَرُ تِلْكَ الفُنُونِ ازْدِرَاءً عِنْدَهُ(الشِّعْرُ) ، لِذَلِكَ طَرَدَ الشُّعَرَاءَ مِنْ جُمْهُورِيَتِهِ المثَالِيَةِ «دَوْلَتُهُ عَقْلِيَةٌ مُنَظَّمَةٌ ، والشِّعْرُ عَاطِفِيٌ مُضْطَرِبٌ فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ ضَارٌ حَقِيرٌ[6] وإصْدَارُهُ لِحُكْمِ الاحْتِقَارِ نَابِعٌ مِنْ اعتِقَادِهِ بِوُجُودِ آلِهَةِ للشِّعْرِ* هِيَ التِي تُلْهِمُهُ الشُّعَرَاءَ وتَتَحَكَّمُ فِيهِمْ وفِي شِعْرِهِمْ، فَهُمْ مُقَيَّدُونَ فِي تَصَوُرَاتِهِمْ لِلْشِّعْرِيَةِ، فَالشَّاعِرُ عِنْدَهُ إنَّمَا هُوَ مُنْشِدٌ مُلْهَمٌ، تَبُثُّ الآلِهَةُ حَدِيثَهَا عَلَى لِسَانِهِ»[7] فالخَيَالُ (أو التَخْيِّيلُ) عِنْدَ أفْلَاطُون هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ جُنُونٍ عُلْوِي* لاَ دَوْرَ لِلْشَاعِرِ فِيهِ وَ إنَّمَا هُوَ تَسْيِيرٌ وتَحَكُّمٌ مِنَ (آلِهَةِ الشِّعْرِ)كَمَا يُوَضِحُ فِي مَوْضِعٍ آخرَ قَائِلًا: «ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ الشُّعَرَاءِ المُجِيدِينَ سَوَاءَ أكَانُوا شُعَرَاءَ المَلَاحِمِ ومنْ الشُعَرَاءِ الغِنَائِيِينَ* لَا يُؤَلِفُونَ قَصَائِدَهُم الجَمِيلَةَ لَا عَنْ فَنٍ وحَذْقٍ، و لَكِنْ لِأَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِمْ، ولأَنَّ رُوحًا تَنْقُصُهُمْ »[8] فَهُمْ يُعُوِضُونَ ذَلِكَ النَقْصَ بالإبْدَاعِ، ومِنْ هُنَّا فَإِنَّ الخَيَالَ عِنْدَهُ هُوَ تَزْيِيفُ المزَيَفِ فَهُوَ نَاقِصٌ مَرَتَيْنِ، المرَّةُ الأُولَى لَمَّا أُخِذَ مِنْ عَالَمِ المثُلِ والمرَّةُ الثَّانِيَةُ لَمَّا جَاءَ الشَّاعِرُ أو النّحَاةُ أو الرّسامُ فحَاكَى المثَالَ فَهُو يَبْتَعِدُ بِمُخَيِلَتِهِ عَنَ الحَقِيقَةِ مَرَتَيْنِ.

2.2.2 مفهوم أرسطو(للتخييل):

إنَّ نَظْرَةَ التِلْمِيذِ لِلتَخْيِّيلِ تَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا جَوْهَرِيًا عن نَظْرَ الأسْتَاذِ، ذَلكَ أنَّ أَرِسْطُو يَنْظُرُ إِلَى الشِّعْرِ عَلَى أَنَّهُ فِطْرَةٌ وغَرِيزَةٌ فِي الإنْسَانِ يُعَبَّرُ عَنْهَا بالمُحَاكَاةِ، ولَيْسَ كَمَا قَالَ المعَلِّمُ أَنَّهُ وَحْيٌ وَ إِلْهَامٌ منَ الآلِهَةِ، فالشَّعْرُ يَعْتَمِدُ عَلَى المخَيِلَةِ لِيُلَامِسَ الأَحَاسِيسَ والمشَاعِرَ. ومِنْهَ فإنَّ الخَيَالَ و التَخْيِّيلَ عِنْدَ أَرِسْطُو يَقُومُ عَلَى عَمَلِيَةٍ ذِهْنِيَةٍ مُرْتَبِطَةٍ بالمحْسُوسَاتِ، و مُتَعَلِّقَةٌ عِنْدَهُ بِحَاسَةِ (البَصْرِ)لأَنَّهَا الحَاسَةُ الوَحِيدَةُ التِي تَتَعَلَّقُ بالصُّورَةِ ، فَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ «فبَعْضُهَا يَبْقَى فِينَا ... وبَعْضُهَا الأَخَرُ يُحْجَبُ بالانْفِعَالِ أَو الأَمْرَاضِ أَوْ النُومِ»[9] فَهُوَ يَرْبِطُ التَخْيِّيلَ بالصُورَةِ، باعْتِبَارِهِ عَمَلِيَةً غَيْرَ مَحْسُوسَةٍ تَرْتَكِزُ عَلَى الموجُدَاتِ الخَارِجِيَةِ المتَخَيَلَةِ، فَهُوَ «عِبَارَةٌ عَنْ الآثَارِ التِي يُدْرِكُهَا الحِسُّ فَالخَيَالُ هُوَ حَرَكَةٌ نَاشِئَةٌ عَنْ الإحَسَاسَاتِ فِي الذِهْنِ»[10] فَأَرِسْطُو هُنَا يُعَلِّقُ التَخَيِّيلَ بالإحْسَاسِ والعَقْلِ، لأَنَّهُ يَعْمَلُ كَوَسِيطٍ بَيْنَ الشُعُورِ والتَفْكِيرِ، أَيْ: أَنَّ التَخْيِّيلَ عَمَلِيةٌ عَقلِيَةٌ شُعُورِيَةٌ تَنتَهِي بالانْجِذَابِ نَحْوَ الشَّيْءِ أَوِ النُفُورِ مِنْهُ ويُسَمِيهَا(بالنُزُوعِ)، خَاصَةً حِينَمَا نَاقَشَ الأَجْنَاسَ الأَدَبِيَةَ الإغْرِيقِيَةَ، (المأْسَاةُ والمْلْهَاةُ)، فلاَحَظَ أَنَّ المتَلَقِي تَحْدُثُ لَهُ حَالَةٌ نَفْسِيَةٌ ، إمَا البُكَاءُ فهُوَ: (أَلَمٌ) أو الضَحِكُ فَهُوَ : (لَذَةٌ)، و عَبَرَ عَنْهُمَا (بالتَطْهِيرِ)، وقدْ حَوَلَهُ النُّقَادُ العَرَبُ إلى مُسَمَى: التَخْيِّيلِ.

3.2. التخيّيل عند النّقاد المغاربة:

لمّا انْتَشَرَتْ تَرْجَمَاتُ كُتُبِ الاغْرِيقِ(الجُمْهُورِيَةُ ونَقْدُ الشِّعْرِ) أَخَذَ النُّقَادُ العَرَبُ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا، ويُحَاوِلُونَ تَطبِيقَ قَضَايَاهَا عَلَى المدَوَنَاتِ الأَدَبِيَةِ والنَّقْدِيَةِ فِي المشَرْقِ والمغْرِبِ . إلَا أنَّ نُبُوغَ عُلَمَاءَ المغْرِبِ والأنْدَلُسِ في تَطْبِيقَاتِهِمْ تِلْكَ، جَعَلَهُمْ يَأْتُونَ بِمَقُولَاتٍ فَذَةٍ تُعَبِرُ عَنْ تَمَكُّنِهِمْ من الفَلْسَفَةِ وهَضْمِ مَعَانِيهَا ، ومِنْ أبْرِزِ هَؤُلَاءِ النُّقَادِ (أبُو المطَرِفِ بنُ عَمِيرَةَ ، وحَازِم القَرْطَجَنِي ، والسِّجِلْمَاسِي)

1.3.2. أبو المطرف بن عميرة(ت658 ه):

لَمْ يَهْتَمْ أبُو المطرفِ بنُ عَمِيرَةَ* في كِتَابِهِ (التَنْبِيهَاتِ) بالتَخْيِيلِ كَثِيرًا، لأَنَّهُ كَانَ مُنْشَغِلًا بالرَّدِّ عَلَى مُعَاصَرَهِ ابنَ الزَّمْلَكَانِي*، وتَظْهَرُ لَنَا فِي مُؤَلَفِهِ بَعْضَ التَلْمِيحَاتِ التِي تُوَضِّحُ مُيُولَهُ الفَلْسَفِي والمنْطِقِي، الذِي يَتَجَلَى فِي تَعْرِيفِهِ لِلْبَلَاغَةِ إِذْ يَقُولُ «إنَّهَا صِنَاعَةٌ تُفِيدُ قُوَةَ الإفْهَامِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ الإنْسَانُ أو يُرَادُ مِنْهُ، بِتَمَكُّنٍ منْ إيقَاعِ التَّصْدِيقِ بِهِ وإذْعَانَ النَّفْسِ لهُ»[11] وهَذَا تَعْرِيفٌ جَدِيدٌ عَلَى التُرَاثِ البَلَاغِي الذِي عَرّفَ البَلَاغَةَ بِأَنَّهَا (مُطَابَقَةُ الكَلَامِ لمقْتَضَى الحَالِ)[12] . ليُعْلِنَ أبُو المطَرِفِ عنْ مِيلادِ إتِجَاهٍ بَلَاغِي جَدِيدٍ يُسَمِيهِ النُّقَادُ بالإتِجَاهِ الفَلْسَفِي، الذِي تَشَبَعَ بِفِكْرِ اليُونَانِ والفَلَاسِفَةِ العَرَبِ (الفَارَابِي وابن سِينَا وابن رُشْدِ)[13]

إنَّ التَخْيِيلَ عِنْدَ أبِي المطَرِفِ مُتَدَاخِلٌ مَعَ المحَاكَاةِ ومُنْصَهِرٌ فِيهَا، إذْ يَعْطِيهِ مَنْحىً بَيَانِيًا و يُعَلِقُهُ بِهِ، حَتَى جَعَلَهُ مُرْتَبِطًا بِالتَّمْثِيلِ والمجَازِ والاسِتِعَارَةِ، ومَنْ أَقْوَالِهِ التِي وَجَهَ فيها التَخْيِيلَ فِي التَمْثِيلِ قَوْلُهُ: «فَأَمَا اسْتَعْمَالُ التَمْثِيلِ فِي البَلَاغَةِ فجَادَةٌ مِنْ جُوَّادِهَا فِيهَا لخُيِّلَهَا اسْتِبَاقَ... وللتَخْيِيلِ ومَا يَحْصُلُ عَنْهُ فِي هَذَا الفَنِّ البَاعُ المدِيدُ، و المدَى البَعِيدُ ، وَقَدْ أحْسَنَ بَعْضُهُمْ فِي القَوْلِ: هَجَرَ المدَامَةَ حِينَ خَيَلَ لَوْنَهَا ... بَوْلَ السَّقِيمِ أتَى بِهِ لِعَلَاجِ

أَلَا تَرَى كَيْفَ بَنَى الأَوَلَ هُجْرَانَ المدَامَةِ عَلَى مَا خَيَلَهُ مِنْ الفُضْلَةِ المسْتَقْذَرَةِ ، و بَنَى هَذَا حُبَّهَا عَلَى مَاخَيَّلَتْ الزُجَاجَةَ»[14] وهَذَا مِنْ التَمْثِيلِ البَلِيغِ الذِي يُسَمِيهِ عُلَمَاءُ البَلَاغَةِ بالتَشْبِيهِ البَلِيغِ(بَوْلَ السَّقِيمِ)حَيْثُ شَبَه فُضْلَةَ الخَمْرِ بِبَوْلِ السَّقِيمِ.

ومنَ المجازِ مَا سَاقَهُ فِي مَعْرِضِ رَدَّهِ عَلَى ابنِ الزَّمْلَكَانِي حِينَما اسْتِشْهَادَ فِي الاسنَادِ الافْرَادِي بِبَيْتِ الخَنْسَاءِ الذِي تَقُولُ فِيهِ: تَرتَعَ مَا غَفَلَتْ حَتَى إذَا ادَكَرَتْ ... فَإِنَّمَا هِيَ إقْبَالٌ وإدْبَارٌ

فَيَقُولُ: «فَقَالَ: فَكَأَنَّ النَاقَةَ بِجُمْلَتِهَا إقْبَالٌ وإدْبَارٌ وحَتَى كَأَنَّهَا تَجَسَمَتْ مِنْهُمَا، ... و يَخْشَى عَدَوَاهَا العُقَلَاءَ، وَبِرَدِ يَكْسِرُ مِنْهُ الاصْطِلَاءَ، وَ لَوْ اتَجَهَ لهَا أنْ تقُولَ: فَإِنَّمَا هِيَ مُقْبِلَةٌ ومُدْبِرَةٌ لَهَا إقْبَالٌ وإدْبَارٌ ...وخَيَّلْتَ المعْنَى المقْصُودَ مِنْ مُحَاكَاتِهَا نَفْسَهَا»15 فَعَلَّقَ المحَاكَاةَ بالمجَازِ حِينَ رَبَطَ بَيْنَ إقْبَالِ وإدْبَارِ النَاقَةِ كأَنَّهَا تُحَاكِي غَيْرَهَا و مَا هِي إلاَّ مُحَاكَاتِهَا لنَفْسِهَا.

وأمَّا التَشْبِيهُ فيقول عنه: «(إنَّهُ رُكْنٌ منْ أَرْكَانِ البَلاغَةِ) .ثُمَّ يُفَرِقُ بَيْنَ أَنْوَاعِ المحَاكَاةِ (المحَاكَاةُ بالتَشْبِيهِ والمحَاكاةُ بالاسْتِعَارَةِ) فَأَمَّا مُحَاكَاةُ التَشْبِيهِ مُحَاكَاةُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِأَدَاةٍ مِنْ أَدَوَاتِ التَّشْبِيهِ، وذَلِكَ مِثْلَ كَأَنَّ وَالكَافَ وَمِثَّلَ لَهُ:

كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلَهِبِهَا ... والفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغَطِيهَا

زَنْجِيَةً شَبَّكَتْ أَنَامِلَهَا ... مِنْ فَوْقِ نَارَنْجَةٍ لِتُخْفِيهَا»[16] وهذَا تَشْبِيهٌ تَمْثِيلِيٌ صُورَةٌ بصورةٍ أُخْرَي.

وأمَّا المحَاكَاةُ بالاسْتِعَارَةِ فَسَاقَ لَهَا أَقْوَلاً مِنْهَا، (عَيْنُ الرِضَى تُغْضِي عَنْ عَيْبِهِ) و(ماءُ الحَيَاءِ يَسِيلُ مِنْ وَجْهِهِ) والفَرْقُ بينٌ: فَمَا سَبَقَ هَوَ جَعل شَيْءٍ شَيْئًا(تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ) أَوْ جَعْلُ شَيْءٍ كَشَيْءٍ وهوَ(التَشْبِيهُ)[17] و المثَالُ الأَخِيرُ جَعَلُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ وهُوَ (اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَةٌ) ، فالمؤلِفُ يَرْبِطُ التَخْيِيلَ بالمحَاكَاةِ و يَسِيرُ بهَا إِلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ البَيَانِ(التَشبِيهُ والمجَازُ و الاسْتِعَارَةُ).

وبمَا أَنَّ أَقْوالَ أَبِي المطرِفِ قَلِيلَةٌ فِي التَخْيِيلِ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ تَلْمِيحَاتٍ، فسَنَكْتَفِي فِي المقارنَةَ بينَ القَرْطَجَنِي والسِجِلْمَاسِي لاشْتِمَالِ كَتَابَيْهِمَا عَلَى فُصُولٍ خَاصَةٍ بالتَخْيِيلِ ومَفْهُومِهِ .

2.3.2. عند حازم القرطجني(ت684ه):

حاولَ القَرْطَجَنِي إعْطَاءَ مَفْهُومٍ شَامِلٍ للشِعْرِ بالاعْتِمَادِ عَلَى المفَاهِيمِ التِي قدَّمَهَا الفَلَاسِفَةُ الإغْرِيقُ و النّقادُ العَرَبُ، وذَلِكَ بتَطْبِيقِ النَظْرَةِ الأَرِسْطِيَةِ للشِعْرِ عَلَى المدَوَنَةِ الشِعْرِيَةِ العَرَبِيَةِ ولَكِنْ بِشَيْءٍ مِنَ التَوَسُّعِ فِي التَطْبِيقِ والمحَافَظَةِ عَلَى الخُصُوصِيَةِ. حَيْثُ ينْطَلِقُ فِي مَفْهُومِهِ للتَخْيِيلِ اعْتِبَارًا مِنْ تَعْرِيفِهِ للشِعْرِ إِذْ يَقُولُ: «الشِعْرُ كَلَامٌ مُخَيَّلٌ مَوْزُونٌ ، مُخْتَصٌ فِي لِسَانِ العَرَبِ بِزِيَادَةِ التَقْفِيَةِ و التِئَامِهِ مِنْ مُقَدِمَاتٍ مُخَيَلَةٍ، صَادِقَةٍ كَانَتِ أَوْ كَاذِبَةٍ، لاَ يُشْتَرَطُ فِيهَا - بمَا هِيَ شِعْرٌ - غَيْرَ التَخْيِيلِ»[18] فهُوَ يُقِرُّ بأَنَّ التَخْيِيلَ عُنْصُرٌ أَسَاسِيٌ فِي العَمَلِيَةِ الإبدَاعِيَةِ الشِعْرِيَةِ، فالشَّاعِرُ يَقْرِنُ بَيْنَ الغَرَابَةِ والحَقِيقَةِ فِي شِعْرِهِ مَعَ الاسْتِخْدامِ الخَلّاقِ للّغَةِ. ثمَّ يُعَرِفُهُ تَعْرِيفًا آخَرَ بِزِيَادَةِ القَصْدِ الذِي يَرْمِي إِلَيْهِ الشَّاعِرُ مِنْ تَحْبِيبِ شَيْءٍ أو تَبْغِيضِهِ للمُخَاطَبِ فيقول: «الشِعْرُ كَلَامٌ مَوْزُونٌ مُقَفَى مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُحَبِّبَ إِلَى النَّفْسِ مَا قَصَدَ تَحْبِيبَهُ إِلَيْهَا ، وَيُكَرِّهَ إِلَيْهَا مَا قَصَدَ تَكْرِيهَهُ، لِتُحْمَلَ بذَلِكَ عَلَى طَلَبِهِ أَوْ الهَرَبِ مِنْهُ، بِمَا تَضَمَنُ مِنْ حُسْنِ تَخْيِيلٍ لَهُ »[19]

وهنَّا يَظْهَرُ وَفَاءُ القرطَجَنِي لعَقْدِ التَوَاصُلِ العَرَبِي فِي تَعرِيفِ الشِعْرِ بـ(الوَزْنِ والقَافِيَةِ) مَعَ المخَالَفَةِ فِي زِيَادَةِ التَخْيِيلِ للتَعرِيفِ، وَهَذَا فَهْمٌ جَدِيدٍ ، لمْ تَقُلْ بِهِ زُمْرَةُ النُّقَادِ السَابِقِينَ ممَّا يُهَيِءُ للقَوْلِ: إنَّ حَازِمًا كَانَ أَسِيرًا للْفَهْمِ الفَلْسَفِي للظَاهِرَةِ الشِعْرِيَةِ ، نَظَرًا لثَّقَافَتِهِ العَقْلِيَةِ ، واطِلاَعِهِ عَلَى نُقُودِ اليُونَانِ فِيمَا كَتَبُوا عَنِ فَنِّ الكَلَامِ ، حَيْثُ يَرَى أَنَّ أَثَرَ الإبْدَاعِ عَلَى النَّفْسِ البَشَرِيَةِ وَرُدُودِ أَفْعَالِهَا نَحوَ ذَلِكَ الإبدَاعِ يُنْتِجُ انْقِبَاضًا أو انْبِسَاطًا ، وهُوَ مَا يُسَمِيهِ أَرِسْطُو (بالنُزُوعِ)، وَمِنْ هُنَا

يَكُونُ المتَلَقِي مُسْتَغرِبًا أو مُكْتَرِثًا بالرِضَا وَ الغَضَبِ و النُّزُوعِ و الخَوْفِ والرَّجَاءِ، لأنَّ الشِّعْرَ العَرَبِيَ يَقُومُ عَلَى وَصْفِ تِلْكَ الانْفِعَالَاتِ التي تَتَوَلَّدُ مِنْهَا المَعَانِي الشِّعْرِيَةِ[20]

كمَا أنَّ القَرْطَجَنِي يَشْتَرِطُ للإبْدَاعِ الشَّعْرِي المُحَاكِي لإكمَالِ الوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَوَامِلِ الخَارِجِيَةِ والعَوَامِلِ الدَاخِلِيَةِ حَسْبَ مَا تُبَيِنُهُ الخُطَاطَةُ التِي استَنْتَجْنَاهَا مِنْ مُؤَلَفِهِ : (المِنْهَاجُ):

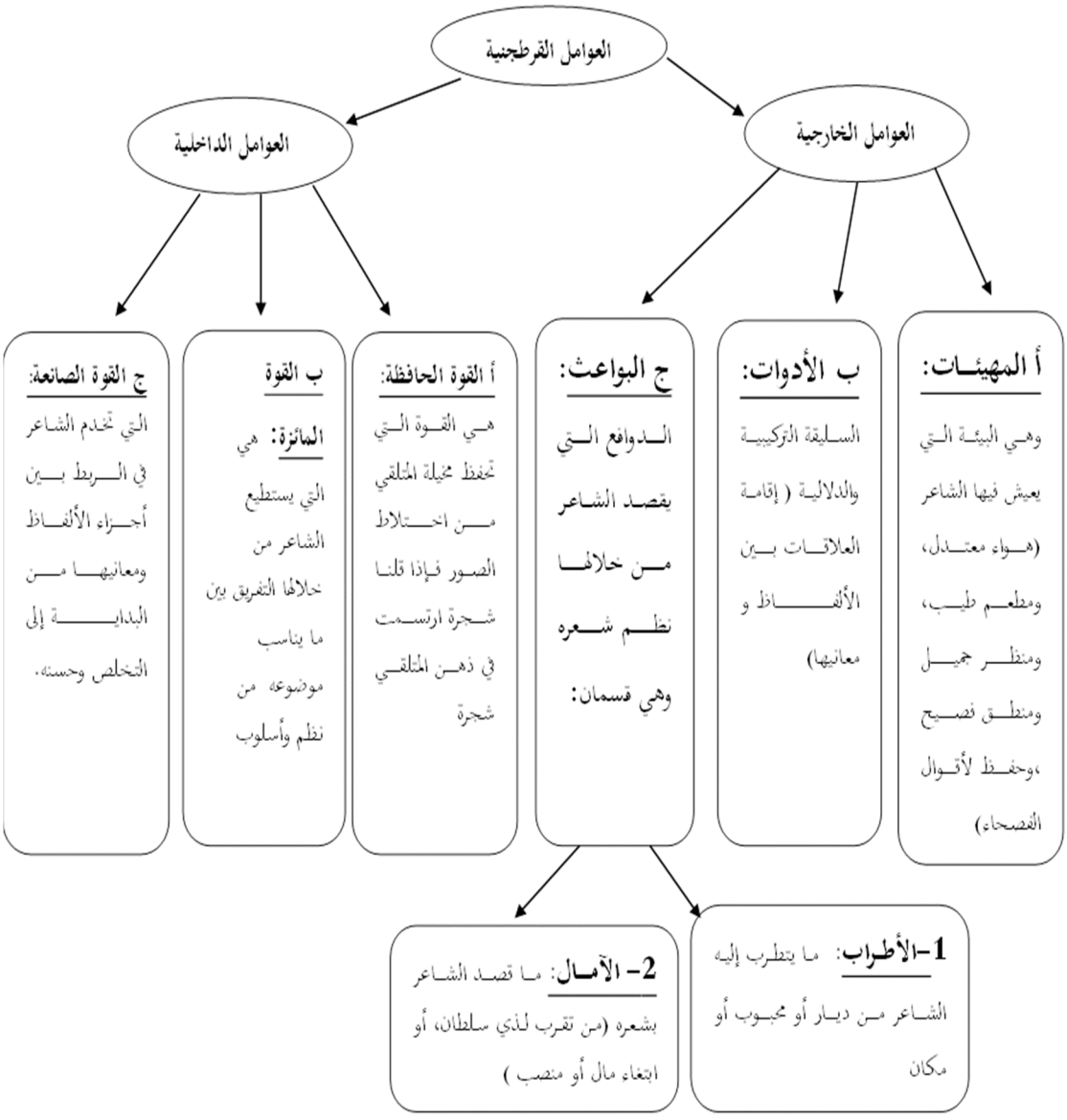

فَبِهذِهِ العَوَامِلِ يُقِيمُ القَرْطَجَنِي العَلاقَةَ الوَطِيدَةَ بينَ الشِّعْرِ و الخَيَالِ أوِ التَخْيِّيلِ ، الذِي يَسْتَمِدُهُ الشَّاعِرُ مِنْ طَبِيعَتِهِ أوْ بِيئَتِهِ التِي تَرَبَى و تَأَقْلَمَ مَعَهَا ، فَهُو يَتأَثَّرُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُؤثِر فِيهَا، بِفِعْلِ مُحَاكَاتِهِ لَهَا بالأَلْفَاظِ والخَيَالاَتِ، لِيُخْرِجَ صُورًا مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ فِي أبْهَى حُلَةٍ، لِأَنَّ« الصُورَ الذِهْنِيَةَ التِي تَنْطَلِقُ مِنَ الخَيَالِ أوِ الذَاكِرَةِ ، أوِ الصُورَةِ الفُجَائِيَةِ التي تَدْخُلُ الوَعْيَ هِيَ

أشْبَاحُ صُوَرٍ، ... فَهِيَ لَا تُعَبِّرُ عَنْ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عُنْصُرٌ إِشَارِي و رَمْزِي ... فالإِشَارَةُ شَيءٌ ضَرُورِيٌّ لخُرُوجِ الخَيَالِ بِذَاتِهِ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ»[21]

3.3.2التخييل عند السجلماسي (ت 704هـ):

تُعَدُّ نَظْرَةُ السِّجلمَاسِي للتَخْيِيلِ نَابِعَةً عَنْ تَصَوُّرِهِ للشِّعْرِ ومَفْهُومِهِ، إِذْ يَسِيرُ عَلَى مَفْهُومٍ بِيئَةٍ عَرَبِيَةٍ أَصِيلَةٍ، وهُوَ بِذَلِكَ يُوَاصِلُ الامْتِدَادُ التَارِيخِي لذَلِكَ المَفْهُومِ ومَاهِيَتِهِ ، ويَمْزِجَهَا بمُثَاقَفَةٍ يُونَانِيَةٍ، حَيْثُ يُعْطِي لِلشِّعْرِ مَفْهُومًا يَرْبِطُهُ ارتبَاطًا وَثِيقًا بالتَخْيِيلِ فيقول «الشِّعْرُ هُوَ الكَلَامُ المخَيَّلُ المؤَلَّفُ منْ أَقْوَالٍ مَوْزُونَةٍ مُتَسَاوِيَةٍ وعَنْدَ العَرَبِ مُقَفَاةٍ»[22]. وحَسْبَ رَأْيِهِ فإِنَّ التَخْيِيلَ هوَ الذِي يُنْشِئُ الإِبْدَاعَ عِنْدَ الشَّاعِرِ مَعَ الشَّكْلِ والمضْمُونِ، و عَبَّرَ عَنْهُ بالمحَاكَاةِ ، ثمَّ يُفَضِلُهُ عَلَيْهِمَا-الشَّكَلَ والمضْمُونَ- بِقَوْلِهِ: «التَّخيِيلُ والمحَاكَاةُ والتَمْثِيلُ هُوَ عَمُودُ الشِّعْرِ، إِذَا كَانَ جَوْهَرُ القَوْلِ الشِّعْرِي وطَبِيعَتُهُ وجُودُهُ بالفِعْلِ»[23] فَهُوَ فِي هَذَا المَوْضِعِ يَجْعَلُ التَخْيِيلَ والمحَاكَاةَ والتَمْثِيلَ فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ ويَقْرِنُ بَيْنَهَا فِي مَفْهُومٍ وَاحِدٍ، وهَذَا تَأْثُرٌ جَلِيٌّ بالفَيْلَسُوفِ الفارابي حِينَ سَاوَى بَيْنَ التَخْيِيلِ والمحَاكَاةِ[24].

وقدْ أَنْكَرَ هَذَا القَوْلَ (ابنُ بَنَاءِ المرَاكِشِي)* لأَنَّهُ يَعْتَبِرُ المحَاكَاةَ جُزْءًا مِنَ التَخْيِيلِ و يَجْعَلَهَا تَبَعًا لأَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ مُتَخَيَّلَةٍ تَنْتُجُ عَنْهَا اسْتِفْزَازَاتٍ [25]

وقدْ حَاوَلَ السِّجِلْمَاسِي تَخْلِيصَ التَخْيِيلِ منَ العَمَلِيَةِ الإِبْدَاعِيَةِ الشِّعْرِيَةِ التِي عَلَقَهَا بِهِ بَعْضُ النُّقَادِ -كَمَا رَأَيْنَا عِنْدَ القَرْطَجَنِي - ، لأَنّ الشَّاعِرَ حَسْبَ رَأْيِهِمْ لَا يُمْكِنُهُ الاسْتِغْنَاءُ عَنْ تِلْكَ العَمَلِيَةِ الابْدَاعِيَةِ فِي تَصْوِيرِهِ للأَشْيَاءِ الوَاقِعِيَةِ وَرَبْطِهَا بِعَوَالِمَ غَيْرَ وَاقِعِيَةٍ بِحُلَّةٍ أَجْمَلَ منَ العَوَالِمِ الأُولَى وهوَ يَنْقُدُ القَوْلَ بالتَخْيِيلِ « القَوْلُ المخَيَّلُ: هوَ القَوْلُ المرَكَبُ منْ نِسْبَةٍ أَوْ نَسْبَ الشَّيءِ إِلَى شَيْءٍ دُونَ الإِغْرَاقِ فِيهِ...والوَصْلِ بينَ الأَشْيَاءِ»[26] من هنَا تَكُونُ الأَشْيَاءُ مُبَعْثَرَةً ومُضْطَرِبَةً فِي نَظَرِهِ.

كَمَا نَجِدُ السِّجْلْمَاسِي يَرْبِطُ (التَخْيِيلِ البَلَاغِي بـ (عِلْمِ البَيَانِ) لاَ بـ (عِلْمَ البَدِيعِ) كَمَا يُوهِمُنَا عُنْوَانُ مُؤَلَفِهِ، فَقَدْ قَامَ بِتَوْظِيفِ المصْطَلَحَاتِ البَلَاغِيَةِ تَوظِيفًا خَارِجًا عنْ المفَاهِيمِ البَلَاغِيَةِ السَابِقَةِ إِلَى مَفْهُومِهِ الخَاصِ الذِي تَفَرَدَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، فَيُقَسَمُ التَخْيِيلِ فِي أَجِنَاسِ أَرْبَعَةٍ: (التَشْبِيهُ، الاسْتِعَارَةُ المجَازُ، المَمَاثَلَةُ) فِي مُدَوَّنَتِهِ: (المنزعُ البَدِيعُ فِي تَجْنِيسِ أَسَالِيبِ البَدِيعِ)، قَائِلاً: « هَذَا جِنْسٌ مِنْ عِلْمِ البَيَانِ، يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ تَشْتَرِكُ فِيهِ ويَحْمِلُ عَلَيْهَا مِنَ طُرِيقِ المتَوَاطِئِ عَلَى مَا تَحْتَهُ، وهِي: نَوعٌ التَشْبِيهُ، ونَوْعٌ الاسْتَعَارَةُ، ونَوْعُ المَمَاثَلَةُ -التَمْثِيلُ- ونَوْعُ المجَازِ، وهَذَا الجِنْسُ- التَخْيِيلُ- هوَ مَوْضُوعُ الصِنَاعَةِ الشِّعْرِيَةِ»[27] وفِي هَذَا المَوْضِعِ يُقِرُ صَرَاحَةً بِوُجُوبِ التَخْيِيلِ فِي العَمَلِيَةِ الشِّعْرِيَةِ مَعَ التَفرِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ المحَاكَاةِ المضَلِلَةِ .وهُوَ نُزُوعٌ نَحْوَ نَظْرَةِ أَبِي المطرف

3.الخاتمة:

منْ خِلَالِ مَا سَبَقَ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ نُقَادَ الغَرْبِ الإِسْلَامِي قَدْ دَرَاسُوا الظَوَاهِرَ الأَدَبِيَةَ، انْطِلَاقًا مِنْ مُدَوَنَاتِهِمْ المؤْثُوقَةِ لَدَيْهِمْ ، بِحُكْمِ مِلْكِهِمْ للمُقَومَاتِ والآلِيَاتِ النَّقْدِيَةِ التِي بَلْوَرَتْهَا جُهُودُ الفَلَاسِفَةِ

المسْلِمِينَ، ليُنْتِجُوا مُنْجَزًا نَقْدِيًا مَغَارِبِيًا رَصِينًا، يَتَمَتَّعُ بالعِلْمِيَةِ والدِّقَةِ والشُّمُولِيَةِ والتَنَوُّعِ، كما هو حَاصِلٌ عِنْدَ القَرْطَجَنِي و السِّجِلْمَاسِي ومُؤَلَفَيْهِمَا.

فَرَأَيْنَا أَنَّ كُلاً مِنَ النَاقِدِينَ يَشْتَرِطُ التَخِيّيلَ فِي العَمَلِيَةِ الإبْدَاعِيَةِ الشِّعْرِيَةِ، و يُدْرِجُهُ فِي تَعْرِيفِهِ لِلْشِّعْرِ ومُحَاكَاتِهِ، إلاَّ أَنَّ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي مَفْهُومِ التَخْيِّيلِ حَاصِلٌ فِي:

1-إنَّ القَرْطَجَنِي يَعْتَبِرُهُ عُنْصُرًا أَسَاسِيًا فِي الشِّعْرِ، بالإضَافَةِ إلَى الوَزْنِ والقَافِيَةِ، و أَنَّهُ أَوْسَعُ وَ أَشْمِلُ منَ المحَاكَاةِ، وَمَا المحَاكَاةُ إلاَّ جُزْءًا مِنْهُ، كَمَا أَنَّ الانْفِعَالَاتِ النَّفْسِيَةِ التِي تَصْدُرُ مِنَ المتَلَقِي أوِ السَّامِعِ للشِّعْرِ، مِنَ بُكَاءٍ أوْ ضَحِكٍ أوِ انْقِبَاضٍ وانْبِسَاطٍ، - وَهُوَ التَطْهِيرُ عِنْدَ أرِسْطُو - رَاجِعٌ إِلَى عَامَلِ التَخْيِّيلِ وصُورَتِهِ التِي أَخْرَجَتْ السَّامِعَ مِنْ العَالِمِ الحَقِيقَةِ إِلَى عَالَمٍ أَجْمَلَ مِنْ عَالَمِهِ.

2- أما عِنْدَ السِّجِلْمَاسِي فَهُو عُنْصُرٌ أَسَاسِيٌ فِي العَمَلِيَةِ الإبْدَاعِيَةِ الشِّعْرِيَةِ مَعَ زِيَادَةِ الوَزْنِ والقَافِيَةِ، ولَكِنْ بِمَنْظُورٍ مُخْتَلِفٍ عَنْ سَابِقِهِ، حَيْثُ خَالَفَهُ فِي عَدَمِ التَفْرِيقِ بَيْنَ التَخِيّيلِ والمحَاكَاةِ و جَعَلَهُمَا بِمَعنَى وَاحَدٍ، وَ عَدَمِ الإغْرَاقِ فِي هَذِهِ المحَاكَاةِ أوْ التَخْيِّيلِ لأَنَّهُمَا يَخْرُجَانِ السَّامِعَ منْ عَالَمِهِ الحَقِيقِي إِلَى عَالَمٍ مُزَيّفٍ، بِتَوظِيفِ الصُّوَرِ الجَمَالِيَةِ فِي ذِهنِ ذَلِكَ السَّامِعِ أو المتَلَقِي بِشَيْءٍ منَ التَشِتِيتِ .

3- واتِفَاقُهُمَا حَاصِلٌ:

أ- فِي ارْتِبَاطِ الوَزْنِ والقَافِيَةِ مَعَ التَخْيِّيلِ، -وخَاصَةً عِنْدَ القَّرْطَجَنِي- حَيْثُ أَعْطَوْهُمَا بُعْدًا تَوَافُقِيًا مَعَ قُوَةِ الصُّورَةِ المتَخَيَّلَةِ وتَمَاشِيهَا مَعَ النَّغَمِ، وصولا إلى تَغْيِرَاتِ الزِّحَافَاتِ و العِلَلِ والقَوَافِي و أَثَرَهَا فِي التَخِيّيلِ.(حَسْبَ التَدَفُقَاتِ الشُّعُورِيَةِ لَدَى الشَّاعِرِ).

ب- عَلَاقَةُ (التَخِيّيلِ باللَّفظِ) وَ (المعْنَى بالتَخْيِّيلِ): لأَنَّ أَقَوْلَ الشَّاعِرِ أَلْفَاظٌ شُعُورِيَةٌ يَكُونُ لَهَا وَقْعٌ عَلَى المتَلَقِي بِالإيجَابِ والسَّلْبِ(فَرَحٌ أو حُزْنٌ).

ج- ارْتِبَاطُ التَخْيِّيلِ فِي الشِّعْرِ بِعِلْمِ البَيَانِ ، إذْ لَا يُمْكِنُ للشَّاعِرِ أَنْ يَقُولَ شِعْرًا دُونَ تَخْيِّيلٍ

4- إنَّ عَلَاقَةَ التَخْيِّيلِ بالمحَاكَاةِ عَلَاقَةٌ تَكَامُلِيَةٌ وفِي بَعْضِ المرَاتِ تَنَافُرِيَةٌ إذَا افْتَرَقَا اجْتَمَعَا و إذَا اجْتَمَعَا افْتَرَاقَا، وذَلِكَ فِي المعْنَى.

الهوامش:

[1] جلال الدين السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان-، 2007، ص: 163

[2] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق و ضبط عبد السلام هارون ط 1، دار الجيل، بيروت، لبنان 1991 م، م 2، مادة: (خَيَلَ)، ص : 623.

[3]- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ط3، 1994، دار صادر بيروت –لبنان –مادة: (خَيَلَ)ج: 11، ص: 226.

[4] سهيل إدريس، المنهل الوسيط(قاموس فرنسي-عربي)، دار الأدب بيروت –لبنان-د.ط ، ص: 437 .

[5] أفلاطون، الجمهورية ، ترجمة : حنا خباز ، بيروت - لبنان – د.ط، 1969، ص: 28.

[6] مصطفى الجوزو: نظريات الشعر عند العرب- الجاهلية و العصور الإسلامية- ط1/ 1991، دار الطليعة ، بيروت - لبنان- ، ج 1، ص. 90

[*]**آلهة الشعر**: هي ما يعرف عرف عند العرب بشيطان الشعر ، الذي يلهم الشعراء بـ(وادي عبقر)

[7] -أفلاطون، الجمهورية، ص: 19.

[*] **جنون علوي:** و هو المعبر عنه عند المسلمين بالجانب الروحاني أو الصوفي .

[*] شعراء الغناء: يقصد بهم شعراء أناشيد الآلهة(الأناشيد الدينية)

[8] أفلاطون، الجمهورية، ص: 19

[9] أرسطو طاليس، كتاب النفس، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ، دار إحياء التراث الكتب العربية د.ط ، 1962 ، ص: 107.

[10]أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: متى بن يونس الغنائي، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، د.ط، 1953، ص: 244.

[*]**أبو المطرف بن عميرة:** هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي ، كنيته أبو المطرف، من مواليد جزيرة شقر -بالنسية-سنة582هـ كان عالما ومحدثا و فقيها و أصوليا وبارعا في الفلسفة والمنطق ، كما تفنن في الأدب واللّغة والنّقد ، اشتغل بالقضاء ثم كاتبا في ديوان الخلفاء توفي بقابس التونسية 685هـ من مؤلفاته (تاريخ ميورقة)/ينظر: محمد بن شريفة ، الأعمال الكاملة لأبي المطرف، دار الأمان الرباط - المغرب-، ط2، 2017، ج1(السيرة)ص: 53.

[*] **ابن الزملكاني:** هو كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ين خلف الأنصاري السّماكي الدمشقي الزَمْلَكَانِيُ ، من علماء وفقهاء وبلاغي المشرق توفي بدمشق سنة 651هـ من مؤلفات: (البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)/ينظر ابن الزملكاني، التبيان المطلع على إعجاز القرآن، تح: الزوجين: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد سنة 1964م، ص: 10.

[11]أبو المطرف بن عميرة، التنبيهات على ما في التبيان من تمويهات ، تح: محمد بنشريفة، ط1، 1991، ص: 113.

[12] إبراهيم بن عربشاه الحنفي ، الأطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان-2001، ج1، ص: 190.

[13] أبو المطرف، التنبيهات ، ص: 09.

[14] المرجع السابق، ص : 125.

[15]المرجع نفسه، ص: 133.

[16] المرجع نفسه، ص: 134.

[17] المرجع نفسه، ص: 135.

[18] حازم القرطجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية ، تونس، 1966، ص: 89.

[19] المرجع السابق ، ص: 81

[20] ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (من القرن الثاني إلى القرن الثامن)دار الشروق ، ط2، 1993، ص: 551.

[21] سامي أدهم ، الإبداع الخيالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي ، بيروت1989، العدد: 64- 66، ص: 50.

[22] - أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، .تح: علال الغازي، مطبعة المعارف الجديدة, الرباط 1980ص: 218.

[23] السجرلماسي ، المنزع البديع، ص: 407.

[24] أبو نصر الفارابي: مقالة في قوانين صناعة الشعراء للمعلم الثاني ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مصدر سابق، ص: 151.

* **ابن بناء المراكشي** : هو أبو أحمد بن محمد بن عثمان المعروف بابن البناء المراكشي(و 654هـ-ت 721هـ)كان عالم في الأدب والنقد والفلسفة والفلك والرياضيات والطب أهم كتاب له في النقد والأدب(الروض المريع في صناعة البديع) مطبوع تح: رضوان بنشقرون دار المغربية، الدار البيضاء، 1985م

[25] ابن بناء المراكشي، الروض المريع في صناعة البديع، تح: رضوان بنشقرون دار المغربية، الدار البيضاء ، 1985، ص: 81.

[26] السجلماسي، المنزع البديع، ص: 219.

[27] المرجع السابق، ص: 218.